

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ حَبَّبَ إِلَيَّ الْحَيَاةَ بَيْنَ مَطَاوِي الْكُتُبِ النَّافِعَةِ، وَأَثْنَاءَ قِرَائَتِي كَانَتْ تَمُرُّ بِي الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ، الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الْإِعْجَازِ وَالْإِعْجَازِ، بَيْنَ الْمُتَعَةِ وَالْفَائِدَةِ.

وَبَعْضُهَا تَحْمِلُ تَوْقِيعَاتِ الْإِمَامِ الْعَلَامَةِ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَأَزْهَارٍ مُتَنَازِرَةٍ فِي حَدَائِقِ ذَاتِ بَهْجَةٍ^(١)، فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٌ، اقْتَطَفَهَا الْعُلَمَاءُ عَنْ كُتُبِ ابْنِ عَقِيلٍ سَيِّمًا «الْفُنُونُ» إِبَّانَ أَزْدِيهَارِهِ، وَقَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ شَمْسُهُ، وَمَا غَرَبَتْ إِلَّا حِينَ قَلَّ الْاهْتِمَامُ بِالْعِلْمِ، وَقَعَدَتْ هِمَمُ النَّسَاحِ عَنْ نَسْخِ مِثَاتِ الْمَجْلَدَاتِ، وَأَنْتَى لَهُمْ نَسْخُ كِتَابٍ لَمْ يُصَنَّفْ فِي الدُّنْيَا أَكْبَرُ مِنْهُ؟^(٢).

(١) قَدْ شَهِدَ لَابْنِ عَقِيلٍ بِالتَّفَنُّنِ فِي صِنَاعَةِ الْكَلَامِ عُلَمَاءُ أَعْلَامٍ: قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «دَرِّعِ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» (٦٠/٥ - ٦١): «يُوجَدُ فِي كَلَامِهِ - أَيِ: ابْنِ عَقِيلٍ - مِنْ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ مَا هُوَ مُعْظَمُ مُشْكُورٍ». وَقَالَ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «خُرَيْدَةُ الْقَصْرِ» (٢٩/٣): «وَجَدْتُ - أَيِ: لَابْنَ عَقِيلٍ - كَلَامًا جَزَلًا، سَهْلًا، وَأَسْلُوبًا بَدِيعًا رَاقِعًا، وَمِنْهَا جَا قَوِيًّا وَاضِحًا». وَقَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي «الذَّيْلِ» (٣٢٤/١): «وَكَانَ لَهُ الْخَاطِرُ الْعَاطِرُ». قُلْتُ: حَسْبُكَ بِهَا شَهَادَةٌ، فَلَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِهِ إِلَّا ذَوُوهُ، وَمَنْ شَهِدَ لَهُ خَزِيمَةً فَهُوَ حَسْبُهُ.

(٢) قَالَ الذَّهَبِيُّ - كَمَا فِي «الذَّيْلِ» (٣٤٤/١) عَنْ «الْفُنُونِ»: «لَمْ يُصَنَّفْ فِي الدُّنْيَا أَكْبَرُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ». وَقَالَ الْإِمَامُ الْقَزْوِينِيُّ - كَمَا فِي «الذَّيْلِ» (٣٤٥/١) - عَنْ بَعْضِ مُشَافِيخِهِ أَنَّهُ قَالَ: «هُوَ ثَمَانِيَةٌ مُجَلَّدَةٌ».

وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا فِي ضَيَاعِهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - (١) .

وَقَدْ بَقِيَتْ بَعْضُ تِلْكَ الْأَزْهَارِ فِي كُتُبٍ مُتَفَرِّقَةٍ، آثَرَتْ جَمْعَهَا فِي كِتَابِي هَذَا، وَسَمَّيْتُهُ «صَيْدُ الْخَوَاطِرِ» .

وَأَرَى أَنَّ هَذَا الْعُنْوَانَ هُوَ الْأَلْيَقُ؛ لِأَنَّ جُلَّ مَا فِي «الْفُنُونِ» هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ خَوَاطِرٍ، وَهَذَا مِنْهَا، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ عَقِيلٍ نَفْسَهُ، وَبَعْضُ مَنْ نَقَلَ عَنْهُ .

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «فَمَا أَرَأَى أَنْ أَعْلَقَ مَا اسْتَفِيدُهُ مِنْ أَلْفَاظِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْ بَطُونِ الصَّحَائِفِ، وَمِنْ صَيْدِ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَنْشُرُهَا الْمَنَاطِرَاتُ وَالْمَقَابِسَاتُ فِي مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ، وَمَجَامِعِ الْفُضَلَاءِ - طَمَعًا فِي أَنْ يَعْلَقَ بِي طَرَفٌ مِنَ الْفَضْلِ أَبْعَدُ مِنَ الْجَهْلِ؛ لَعَلِّي أَصِلُ إِلَى بَعْضِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ قَبْلِي» (٢) .

وَقَالَ - أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «إِنِّي لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أُضَيِّعَ سَاعَةً مِنْ عُمْرِي، حَتَّى إِذَا تَعَطَّلَ لِسَانِي عَنْ مُذَاكِرَةٍ، وَبَصَرِي عَنْ مُطَالَعَةٍ - أَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي حَالِ رَاحَتِي وَأَنَا مُسْتَطَرِّحٌ، فَلَا أَنْهَضُ إِلَّا وَقَدْ خَطَرَ لِي مَا أُسْطَرُّهُ» (٣) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَكَانَ لَهُ الْخَاطِرُ الْعَاطِرُ، وَالْبَحْثُ عَنْ الْغَوَامِضِ وَالِدَقَائِقِ، وَجَعَلَ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِ«الْفُنُونِ» مَنَاطًا لَخَوَاطِرِهِ وَوَأَقَاعَاتِهِ» (٤) .

(١) طُبِعَ مِنْهُ قِطْعَةٌ فِي مُجَلَّدَيْنِ فِي الْمَطْبَعَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ سَنَةِ (١٩٧٠ من تاريخ النُّصَارَى)، حَقَّقَهَا الدُّكْتُور / جُورْجُ الْمَقْدِسِيُّ، وَقَدْ اسْتَفَدْتُ مِنْهَا .

(٢) «الْفُنُونِ» (٧/١) .

(٣) «الْفُنُونِ» (١٢/١) .

(٤) «الذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ» لابن رَجَبٍ (٣٢٤/١) .

وَأَخِيرًا: أَسْأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا أَنْ
يَجْعَلَ عَمَلِي كُلَّهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِوَالِدَيَّ .
وَأَخِيرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وكتبه

أَبُو عَمْرٍو

فِيصَلِّ بْنِ عَمْرٍو قَائِلُ الْحَاسِرِيِّ

دار الحديث العامة بمغبر حرسها الله